-عدد القراءات: 558 - نشر في: 23--2007م

الآيات 19-20

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿19﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿20﴾

القراءة:

قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة وخلف بورقكم ساكنة الراء والباقون بكسر الراء وروي عن أبي عمرو بإدغام الكاف في القاف وفي الشواذ قراءة أبي رجاء بورقكم بكسر الواو والإدغام.

الحجة:

في ورقكم أربع لغات فتح الواو وكسر الراء وهو الأصل وفتح الواو وسكون الراء وكسر الواو وسكون الراء والإدغام قال ابن جني: هذا عند أصحابنا مخفي غير مدغم لكنه أخفى كسرة القاف فظنها القراء مدغمة ومعاذ الله لو كانت مدغمة لوجب نقل كسرة القاف إلى الراء كقولهم برد وبرق وللقراء في هذا عادة أن يعبروا عن المخفي بالمدغم للطف ذلك عليهم.

الإعراب:

﴿كم لبثتم﴾ تقديره كم يوما لبثتم فكم منصوبة بلبثتم والمميز محذوف ألا ترى أن جوابه ﴿لبثنا يوما أو بعض يوم﴾ ﴿فلينظر أيها أزكى طعاما﴾ الجملة التي هي أيها أزكى مفعول فلينظر وطعاما تمييز.

المعنى:

﴿وكذلك بعثناهم﴾ معناه وكما فعلنا بهم الأمور العجيبة وحفظناهم تلك المدة المديدة بعثناهم من تلك الرقدة وأحييناهم من تلك النومة التي أشبهت الموت ﴿ليتساءلوا بينهم﴾ أي ليكون بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم فينتبهوا بذلك على معرفة صانعهم ويزدادوا يقينا إلى يقينهم ﴿قال قائل منهم كم لبثتم﴾ في نومكم ﴿قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم﴾ قال المفسرون إنهم دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله في آخر النهار فلذلك قالوا يوما فلما رأوا الشمس قالوا أو بعض يوم وكان قد بقيت من النهار بقية ﴿قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾ وهذا القائل هو تمليخا رئيسهم عن ابن عباس رد علم ذلك إلى الله تعالى ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه﴾ والورق الدراهم وكان معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم عن ابن عباس ﴿إلى المدينة﴾ يعني المدينة التي خرجوا منها ﴿فلينظر أيها أزكى طعاما﴾ أي أظهر وأحل ذبيحة عن ابن عباس قال لأن عامتهم كانت مجوسا وفيهم قوم مؤمنون يخفون إيمانهم وقيل أطيب طعاما عن الكلبي وقيل أكثر طعاما من قولهم زكى المال إذا زاد عن عكرمة وذلك لأن خير الطعام إنما يوجد عند من كثر طعامه وقيل كان من طعام أهل المدينة ما لا يستحله أصحاب الكهف ﴿فليأتكم برزق منه﴾ أي فليأتكم بما ترزقون أكله ﴿وليتلطف﴾ أي وليدقق النظر ويتحيل حتى لا

يطلع عليه وقيل وليتلطف في الشراء فلا يماكس البائع ولا ينازعه ﴿ولا يشعرن بكم أحدا﴾ أي لا يخبرن بكم ولا بمكانكم أحدا من أهل المدينة ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ أي يشرفوا ويطلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم ﴿يرجموكم﴾ أي يقتلوكم بالرجم وهو من أخبث القتل عن الحسن وقيل معناه يؤذوكم ويشتموكم يقال رجمه بلسانه عن ابن جريج ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ أي يردوكم إلى دينهم ﴿ولن تفلحوا إذا أبدا﴾ معناه ومتى فعلتم ذلك لن تفوزوا أبدا بشيء من الخير ومتى قيل من أكره على الكفر فأظهره فإنه مفلح فكيف تصح الآية فالجواب يجوز أن يكون أراد يعيدوكم إلى دينهم بالاستدعاء دون الإكراه ويجوز أن يكون في ذلك الوقت كان لا يجوز التقية في إظهار الكفر.

الايات 21-24

-عدد القراءات: 731 - نشر في: 23--2007م

الآيات 21-24

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَاللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿21﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿22﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿23﴾ إِلَّا أَن يَشَاءاللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿24﴾

اللغة:

عثر على الشيء يعثر عثرا إذا طلع عليه وأعثرت عليه غيري والعاثور حفرة تحفر ليصطاد به الأسد يقال للرجل إذا تورط وقع في عاثور وأصله من العثار والمراء الجدال ماريت الرجل أماريه مراء.

الإعراب:

﴿إذ يتنازعون﴾ يجوز أن يكون منصوبا بقوله ﴿أعثرنا﴾ أي اطلعنا عليهم في وقت المنازعة في أمرهم ويجوز أن يكون منصوبا بقوله ﴿ليعلموا﴾ وإنما دخلت الواو في قوله ﴿وثامنهم﴾ ولم يدخل في الأولين لأن هاهنا عطف جملة على جملة وهناك وصف النكرة بجملة فإن التقدير هم سبعة وهم ثلاثة فثلاثة مرفوع بأنه خبر مبتدإ محذوف و﴿رابعهم كلبهم﴾ وصف لثلاثة وكذلك ﴿سادسهم كلبهم﴾ صفة لخمسة وهذا قول علي بن عيسى قال: وفرق ما بينهم أن السبعة أصل للمبالغة في العدد لأن جلائل الأمور سبعة سبعة وأقول قد وجدت لأبي علي الفارسي في هذا كلاما طويلا سألخصه لك وأهذبه فضل تهذيب قال: إن الجملتين الملتبسة إحداهما بالأخرى وهي أن تكون غير أجنبية منها على ضربين (أحدهما) أن تعطف بحرف العطف والآخر أن توصل بها بغير حرف العطف فما يوصل بها بما قبلها بغير حرف العطف من الجملة على أربعة أضرب (أحدها) أن تكون صفة (والآخر) أن تكون حالا (والثالث) أن تكون تفسيرا (والرابع) أن لا تكون على أحد هذه الأوجه الثلاثة لكن يكون في الجملة الثانية ذكر مما في الأولى أو ممن فيها فالأول نحو مررت برجل أبوه قائم وبغلام يقوم ولا وجه لإدخال حرف العطف على

هذا لأن الصفة تبين الموصوف وتخصصه فلو عطفت لخرجت بالعطف من أن تكون صفة لأن العطف ليس الثاني وهو المعطوف فيه بالأول وإنما يشرك الثاني في إعراب الأول والصفة هو الموصوف في المعنى (وأما) الثاني وهو أن تكون حالا فلا مدخل لحرف العطف عليه أيضا لأن الحال مثل الصفة في أنها تفرق بين هيأتين أو هيئات كما أن الصفة تفرق بين موصوفين أو موصوفات وهي مثل المفعول في أنها تكون بعد كلام تام فكما لا يدخل الحرف العاطف بين الصفة والموصوف ولا بين المفعول وما عمل فيه كذلك لا يدخل بين الحال وذي الحال والجمل الواقعة موقع الحال إما أن تكون من فعل وفاعل أو من مبتدإ وخبر نحو رأيت زيدا يضحك وجاء زيد أبوه منطلق قال الشاعر:

ولو لا جنان الليل ما آب عامر

إلى جعفر سربالة لم يمزق

(وأما) الثالث وهي الجملة التي تكون تفسيرا لما قبلها فنحو قوله وعد الله الذين آمنوا ثم قال لهم مغفرة وأجر عظيم فالمغفرة تفسير الوعد الذي وعدوا فأما قوله تعالى هل أدلكم على تجارة تنجيكم ثم قال تؤمنون بالله فتؤمنون على لفظ الخبر ومعناه الأمر بدلالة قوله يغفر لكم وحسن أن يكون الأمر على لفظ الخبر لوقوعه كالتفسير لما قبله من ذكر التجارة وحكم التفسير أن يكون خبرا فلذلك حسن كون الأمر على لفظ الخبر هنا (وأما) الرابع الذي لا يكون اتصاله على الوجوه الثلاثة ويكون في الجملة الثانية ذكر مما في الأولى فإن هذا الوجه يتصل بما قبله على وجهين (أحدهما) بحرف عطف كما يتبع الأجنبية إياها بحرف عطف وذلك نحو زيد أبوك وأخوه عمرو فهذه قد نزلت منزلة الأجنبية من الأولى في العطف بالواو نحو قام زيد وخرج عمرو وزيد قائم وبكر خارج والآخر أن يتبع الثانية الأولى بغير

حرف عطف كقوله سبحانه إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ويقول في آية أخرى وكانوا يصرون بالواو وقوله ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم﴾ ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾ والدليل على أن هذا نوع آخر خارج عن الأنواع الثلاثة أن قوله ﴿وثامنهم كلبهم﴾ بعد الجملة المحذوف مبتدؤها لا يخلو من أن يكون حالا أو صفة أو تفسيرا أو جملة منقطعة من الأول ولا يجوز أن يكون في موضع الحال لأن ما قبلها من الكلام لا معنى فعل فيه عاملا في الحال والحال لا بد لها من عامل فيها ولا يمكن أن يجعل المبتدأ المضمر هذا وما أشبهه من أسماء الإشارة فينتصب الحال عنها لأن المخبر عنهم هاهنا ليسوا بمشار إليهم في وقت الإخبار وإنما المراد الإخبار عن عددهم ولو كانوا بحيث يشار إليهم لم يقع الاختلاف في عددهم ولا يجوز أن يكون تفسيرا لأن التفسير هو المفسر في المعنى ولا يجوز أن يكون شيء من جزء الجملة التي هي ﴿رابعهم كلبهم﴾ شيئا من جزء التي هي هم ثلاثة ولا يجوز أيضا أن يكون صفة للنكرة التي قبلها لأنه لا يخلو في الوصف من أحد أمرين إما أن يعمل اسم فاعل كما يعمل سائر أسماء الفاعلين الجارية على أفعالها فيرتفع ما بعده به وإما أن يجعل جملة في موضع وصف ولا يعمل اسم الفاعل عمل الفعل فيكون مبتدأ وخبرا ولا يجوز الأول لأنه في معنى الماضي والماضي لا يقدر فيه الانفصال وإنما يقدر في الحاضر والآتي لأنه كما أعرب من الأفعال المضارعة ما كان حاضرا وآتيا كذلك لم يعمل الماضي من أسماء الفاعلين ولو لا المضي لم يمتنع إعمال قوله ﴿رابعهم﴾ و﴿سادسهم﴾ ولا تكون أيضا الجملة صفة لثلاثة كما توصف النكرات بالجمل لأن هذه جملة مستأنفة وليست على حد الصفة بل على حد ما بعدها من قوله ﴿وثامنهم كلبهم﴾ فحذفت الواو واستغني عنها إذا كانت إنما تذكر لتدل على الاتصال وما في الجملة من ذكر ما في الأولى كأنه يستغني به

عن ذكر الواو لأن الحرف يدل على إيصاله وما في الجملة من ذكر ما تقدمها اتصال أيضا فيستغني به ويكتفي بذلك منه وهذا فصل جامع في النحو جليل الموقع كثير الفائدة إذا تأمله المتأمل حق التأمل وأحكمه أشرف به على كثير من المسائل إن شاء الله وأما من قال إن هذه الواو واو الثمانية واستدل بقوله حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها لأن للجنة ثمانية أبواب فشيء لا يعرفه النحويون.

المعنى:

﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ أي وكما أنمناهم وبعثناهم اطلعنا وأعثرنا عليهم أهل المدينة وجملة أمرهم وحالهم على ما قاله المفسرون أنهم لما هربوا من ملكهم ودخلوا الكهف أمر الملك أن يسد عليهم باب الكهف ويدعوهم كما هم في الكهف فيموتوا عطشا وجوعا وليكن كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم إيقاظ ثم إن رجلين مؤمنين كتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس وجعلا التابوت في البنيان الذي بنوا على باب الكهف وقالا لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة ليعلموا خبرهم حين يقرءون هذا الكتاب ثم انقرض أهل ذلك الزمان وخلفت بعدهم قرون وملوك كثيرة وملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له ندليس وقيل بندوسيس عن محمد بن إسحاق وتحزب الناس في ملكه أحزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب فكبر ذلك على الملك الصالح وبكى إلى الله وتضرع وقال أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بها أن البعث حق وأن الساعة حق آتية لا ريب فيها فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي فيه الكهف أن يهدم البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة

لغنمه ففعل ذلك وبعث الله الفتية من نومهم فأرسلوا أحدهم ليطلب لهم طعاما فاطلع الناس على أمرهم وبعثوا إلى الملك الصالح يعلمونه الخبر ليعجل القدوم عليهم وينظر إلى آية من آيات الله جعلها الله في ملكه فلما بلغه الخبر حمد الله وركب معه مدينته حتى أتوا أهل الكهف فذلك قوله ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿حق وأن الساعة لا ريب فيها﴾ أي أن القيامة لا شك فيها فإن من قدر على أن ينيم جماعة تلك المدة المديدة أحياء ثم يوقظهم قدر أيضا على أن يميتهم ثم يحييهم بعد ذلك ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ أي فعلنا ذلك حين تنازعوا في البعث فمنهم من أنكره ومنهم من قال يبعث الأرواح دون الأجسام ومنهم من أثبت البعث فيهما وأضاف الأمر إليهم لتنازعهم فيه كما يقال ما صنعتم في أمركم عن عكرمة وقيل إن معناه إذ يتنازعون في قدر مكثهم في الكهف وفي عددهم وفيما يفعل بهم بعد أن اطلعوا عليهم وذلك أنه لما دخل الملك عليهم مع الناس وجعلوا يسألونهم سقطوا ميتين فقال الملك إن هذا الأمر عجيب فما ترون فاختلفوا فقال بعضهم ابنوا عليهم بنيانا كما تبنى المقابر وقال بعضهم اتخذوا مسجدا على باب الكهف وهذا التنازع كان منهم بعد العلم بموتهم عن ابن عباس ﴿فقالوا﴾ أي قال مشركو ذلك الوقت ﴿ابنوا عليهم بنيانا﴾ أي استروهم من الناس بأن تجعلوهم وراء ذلك البنيان كما يقال بنى عليه جدارا إذا حوطه وجعله وراء الجدار ﴿ربهم أعلم بهم﴾ معناه ربهم أعلم بحالهم فيما تنازعوا فيه وقيل إنه قال ذلك بعضهم ومعناه ربهم أي خالقهم الذي أنامهم وبعثهم أعلم بحالهم وكيفية أمرهم وقيل معناه ربهم أعلم بهم أ أحياء نيام هم أم أموات فقد قيل إنهم ماتوا وقيل أنهم لا يموتون إلى يوم القيامة ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ يعني الملك المؤمن وأصحابه وقيل أولياء أصحاب الكهف من المؤمنين وقيل رؤساء البلد الذين استولوا على أمرهم عن الجبائي ﴿لنتخذن عليهم مسجدا﴾ أي

معبدا وموضعا للعبادة والسجود يتعبد الناس فيه ببركاتهم ودل ذلك على أن الغلبة كانت للمؤمنين وقيل مسجدا يصلي فيه أصحاب الكهف إذا استيقظوا عن الحسن وقد روي أيضا أن أصحاب الكهف لما دخل صاحبهم إليهم وأخبرهم بما كانوا عنه غافلين من مدة مقامهم سألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى حالتهم الأولى فأعادهم إليها وحال بين من قصدهم وبين الوصول إليهم بأن أضلهم عن الطريق إلى الكهف الذي كانوا فيه فلم يهتدوا إليه ثم بين سبحانه تنازعهم في عددهم فقال ﴿سيقولون﴾ أي سيقول قوم من المختلفين في عددهم ﴿ثلاثة﴾ أي هم ثلاثة ﴿رابعهم كلبهم ويقولون﴾ أي ويقول آخرون هم ﴿خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب﴾ أي قذفا بالظن من غير يقين عن قتادة ﴿ويقولون﴾ أي ويقول آخرهم هم ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾ وقيل إن هذا إخبار من الله تعالى بأنه سيقع نزاع في عددهم ثم وقع ذلك لما وفد نصارى نجران إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فجرى ذكر أصحاب الكهف فقالت اليعقوبية منهم: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية: كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم ﴿قل﴾ يا محمد ﴿ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾ من الناس عن قتادة وقيل قليل من أهل الكتاب عن عطا وقال ابن عباس أنا من ذلك القليل هم سبعة وثامنهم كلبهم والأظهر أن يكون عرف ذلك من جهة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال هم مكسليمنا وتمليخا ومرطولس ونينونس وسارينونس ودربونس وكشوطبونس وهو الراعي ﴿فلا تمار فيهم﴾ أي فلا تجادل الخائضين في عددهم وشأنهم ﴿إلا مراء ظاهرا﴾ فيه وجوه (أحدها) أن معناه إلا تجادلهم إلا بما أظهرنا لك من أمرهم عن ابن عباس وقتادة ومجاهد أي لا تجادل إلا بحجة ودلالة وإخبار من الله سبحانه وهو المراء الظاهر (وثانيها) أن المراد لا تجادلهم إلا جدالا ظاهرا وهو أن تقول لهم أثبتم عددا وخالفكم غيركم وكلا

القولين يحتمل الصدق والكذب فهلموا بحجة تشهد لكم (وثالثها) أن المراد إلا مراء يشهده الناس ويحضرونه فلو أخبرتهم في غير ملأ من الناس لكذبوا عليك ولبسوا على الضعفة فادعوا أنهم كانوا يعرفونه لأن ذلك من غوامض علومهم ﴿ولا تستفت فيهم منهم أحدا﴾ معناه ولا تستخبر في أهل الكهف وفي مقدار عددهم من أهل الكتاب أحدا ولا تستفتهم من جهتهم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والخطاب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمراد غيره لئلا يرجعوا في ذلك إلى مساءلة اليهود فإنه كان واثقا بخبر الله تعالى ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله﴾ قد ذكر في معناه وجوه (أحدها) أنه نهي من الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقول إني أفعل شيئا في الغد إلا أن يقيد ذلك بمشيئة الله تعالى فيقول إن شاء الله قال الأخفش وفيه إضمار القول وتقديره إلا أن تقول إن شاء الله ولما حذف تقول نقل إن شاء الله إلى لفظ الاستقبال فيكون هذا تأديبا من الله للعباد وتعليما لهم أن يعقلوا ما يخبرون به بهذه اللفظة حتى يخرج عن حد القطع فلا يلزمهم كذب أو حنث إذا لم يفعلوا ذلك لمانع وهذا معنى قول ابن عباس (وثانيها) أن قوله ﴿أن يشاء الله﴾ بمعنى المصدر وتعلق بما تعلق به على ظاهره وتقديره ولا تقولن إني فاعل شيئا غدا إلا مشية الله عن الفراء وهذا وجه حسن يطابق الظاهر ولا يحتاج فيه إلى بناء الكلام على محذوف ومعناه ولا تقل إني أفعل إلا ما يشاء الله ويريده وإذا كان الله تعالى لا يشاء إلا الطاعات فكأنه قال لا تقل إني أفعل إلا الطاعات ولا يطعن على هذا جواز الأخبار عما يفعل من المباحات التي لا يشاءوها الله تعالى لأن هذا النهي نهي تنزيه لا نهي تحريم بدلالة أنه لو لم يقل ذلك لم يأثم بلا خلاف (وثالثها) أنه نهى عن أن يقول الإنسان سأفعل غدا وهو يجوز الاخترام قبل أن يفعل ما أخبر به فلا يوجد مخبره على ما أخبر به فهو كذب ولا يأمن أيضا أن لا يوجد مخبره بحدوث شيء من فعل

الله تعالى نحو المرض والعجز وبأن يبدو له هو في ذلك فلا يسلم خبره من الكذب إلا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالى فإذا قال إني صائر غدا إلى المسجد إن شاء الله أمن من أن يكون خبره هذا كذبا لأن الله تعالى إن شاء أن يلجئه إلى المصير إلى المسجد غدا حصل المصير إليه منه لا محالة فلا يكون خبره هذا كذبا وإن لم يوجد المصير منه إلى المسجد لأنه لم يوجد ما استثناه في ذلك من مشيئة الله تعالى عن الجبائي وقد ذكرنا فيما قبل ما جاء في الرواية أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين فقال أخبركم عنه غدا ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه أياما حتى شق عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية بأمره بالاستثناء بمشيئة الله تعالى وقوله ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ فيه وجهان (أحدهما) أنه كلام متصل بما قبله ثم اختلف في ذلك فقيل معناه واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء ثم تذكرت فقل إن شاء الله وإن كان بعد يوم أو شهر أو سنة عن ابن عباس وقد روي ذلك عن أئمتنا (عليهم السلام) ويمكن أن يكون الوجه فيه أنه إذا استثني بعد النسيان فإنه يحصل له ثواب المستثنى من غير أن يؤثر الاستثناء بعد انفصال الكلام في الكلام وفي إبطال الحنث وسقوط الكفارة في اليمين وهو الأشبه بمراد ابن عباس في قوله وقيل فاذكر الاستثناء ما لم تقم من المجلس عن الحسن ومجاهد وقيل فاذكر الاستثناء بأن تندم على ما قطعت عليه من الخبر عن الأصم (والآخر) أنه كلام مستأنف غير متعلق بما قبله ثم اختلف في معناه فقيل معناه واذكر ربك إذا غضبت بالاستغفار ليزول عنك الغضب عن عكرمة وقيل إنه أمر بالانقطاع إلى الله تعالى ومعناه واذكر ربك إذا نسيت شيئا بك إليه حاجة بذكره لك عن الجبائي وقيل المراد به الصلاة والمعنى إذا نسيت صلاة فصلها إذا ذكرتها عن الضحاك والسدي قال السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه اعلم أن للاستثناء الداخل على الكلام وجوها مختلفة فقد يدخل في الإيمان والطلاق والعتاق وسائر

العقود وما يجري مجراها من الأخبار فإذا دخل في ذلك اقتضى التوقف عن إمضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به ولذلك يصير ما يتكلم به كأنه لا حكم له ولذلك يصح على هذا الوجه أن يستثني الإنسان في الماضي فيقول قد دخلت الدار إن شاء الله تعالى ليخرج بهذا الاستثناء من أن يكون كلامه خبرا قاطعا أو يلزم به حكم وإنما لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لأن فيه إظهار الانقطاع إلى الله تعالى والمعاصي لا يصح ذلك فيها وهذا الوجه أحد ما يحتمله تأويل الآية وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به اللطف والتسهيل وهذا الوجه يختص بالطاعات ولهذا جرى قول القائل لأقضين غدا ما علي من الدين أو لأصلين غدا إن شاء الله مجرى أن يقول إني فاعل إن لطف الله تعالى فيه وسهله ومتى قصد الحالف هذا الوجه لم يجب إذا لم يقع منه الفعل أن يكون حانثا أو كاذبا لأنه إذا لم يقع علمنا أنه لم يلطف فيه لأنه لا لطف له وهذا الوجه لا يصح أن يقال في الآية لأنه يختص الطاعات والآية تتناول كل ما لم يكن قبيحا بدلالة إجماع المسلمين على حسن استثناء ما تضمنه في كل فعل لم يكن قبيحا وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به التسهيل والإقدار والتخلية والبقاء على ما هو عليه من الأحوال وهذا هو المراد إذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن في الآية وقد يدخل في الكلام استثناء المشيئة في الكلام وإن لم يرد به شيء من المتقدم ذكره بل يكون الغرض الانقطاع إلى الله تعالى من غير أن يقصد به إلى شيء من هذه الوجوه ويكون هذا الاستثناء غير معتد به في كونه كاذبا أو صادقا لأنه في الحكم كأنه قال لأفعلن كذا أن وصلت إلى مرادي مع انقطاعي إلى الله تعالى وإظهاري الحاجة إليه وهذا الوجه أيضا يمكن في الآية ومتى تؤمل جملة ما ذكرناه من الكلام عرف به الجواب عن المسألة التي لا يزال يسأل عنها من يذهب إلى خلاف العدل من قولهم لو كان الله تعالى إنما يريد الطاعات من الأفعال دون المعاصي

لوجب إذا قال عليه الدين لغيره وطالبه به والله لأعطينك حقك غدا إن شاء الله أن يكون كاذبا أو حانثا إذا لم يفعل لأن الله تعالى قد شاء ذلك منه عندكم وإن كأن لم يقع ولكان يجب أن تلزمه به الكفارة وأن لا يؤثر هذا الاستثناء في يمينه ولا يخرجه من كونه حانثا كما أنه لو قال و الله لأعطينك حقك غدا إن قام زيد فقام ولم يعطه يكون حانثا وفي التزلل الحنث خروج من الإجماع انتهى كلامه رضي الله عنه وقوله ﴿وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا﴾ معناه قل عسى ربي أن يعطيني من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب من الرشد وأدل من قصة أصحاب الكهف عن الزجاج ثم إن الله سبحانه فعل به ذلك حيث آتاه من علم غيوب أخبار المرسلين وآثارهم ما هو واضح في الدلالة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف وقيل إن معناه ادع الله أن يذكرك إذا نسيت شيئا وقل إن لم يذكرني الله ذلك الذي نسيت فإنه يذكرني ما هو أنفع لي منه عن الجبائي.

-عدد القراءات: 639 - نشر في: 23--2007م

الآيات 25-27

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿25﴾ قُلِاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿26﴾ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿27﴾

القراءة:

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ثلاثمائة سنين مضافا والباقون بالتنوين وقرأ ولا تشرك بالتاء مجزوما ابن عامر وروح وزيد عن يعقوب وسهل والباقون ﴿ولا يشرك﴾ بالرفع والياء.

الحجة:

قال أبو الحسن: يكون السنين لثلاثمائة قال ولا تحسن إضافة المائة إلى السنين لأنه لا تكاد العرب تقول مائة سنين قال وهو جائز في ذا المعنى وقد يقوله بعض العرب قال أبو علي: ومما يدل على صحة قول من قال ﴿ثلاثمائة سنين﴾ أن هذا الضرب من العدد الذي يضاف في اللغة المشهورة إلى الآحاد نحو ثلاثمائة رجل وأربعمائة ثوب قد جاء مضافا إلى الجمع في قول الشاعر:

فما زودوني غير سحق عمامة

وخمس ميء منها قسي وزايف

وذلك أن قوله ميء لا يخلو من أن يكون في الأصل كأنه فعلة فجمع على فعل مثل سدرة وسدر أو يكون فعلة فجمع على فعول مثل بدرة وبدور ومانة ومؤن قال:

عظيمات الكلاكل والمئون

والأولى حمله على فعول وأنه خفف كما يخفف في القوافي كقوله:

كنهور كان من أعقاب السمي

ثم كسر فاؤه كما يكسر في نحو حلي وقال غيره إن العرب قد تضع الجمع هنا موضع الواحد لأن الأصل أن تكون الإضافة إلى الجمع قال الشاعر:

ثلاثمائين قد مضين كواملا

وها أنا ذا قد أبتغي مر رابع

فجاء به على الأصل ومن نون ثلاثمائة ففي نصب سنين قولان (أحدهما) أن يكون سنين بدلا من ثلاثمائة أو عطف بيان (والآخر) أن يكون تمييزا كما تقول عندي عشرة أرطال زيتا قال الربيع بن ضبيع الفزاري:

إذا عاش الفتى مائتين عاما

فقد ذهب اللذاذة والفتاء

قال الزجاج: ويجوز أن يكون سنين من نعت المائة فيكون مجرورا وهو راجع في المعنى إلى ثلاث كما قال عنترة:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة

سودا كخافية الغراب الأسحم

فجعل سودا نعتا لحلوبة وهو في المعنى نعت لجملة العدد قال أبو علي: لا يمتنع أن يكون الشاعر جعل حلوبة جمعا وجعل سودا وصفا لها وإذا كان المراد به الجمع فلا يمتنع أن يقع تفسيرا لهذا الضرب من العدد من حيث كان على لفظ الآحاد كما يقال عشرون نفرا وثلاثون قبيلا ومن قرأ ولا تشرك بالتاء فإنه على النهي عن الإشراك والقراءة الأخرى أشيع وأولى لتقدم أسماء الغيبة وهو قوله ﴿ما لهم من دونه من ولي﴾ والمعنى ولا يشرك الله في حكمه أحدا.

المعنى:

ثم أخبر سبحانه عن مقدار مدة لبثهم فقال ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين﴾ معناه وأقام أصحاب الكهف من يوم دخلوا الكهف إلى أن بعثهم الله واطلع عليهم الخلق ثلاثمائة سنة ﴿وازدادوا تسعا﴾ أي تسع سنين إلا أنه استغني بما تقدم عن إعادة ذكر تفسير التسع كما يقال عندي مائة درهم وخمسة ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ معناه إن حاجك يا محمد أهل الكتاب في ذلك فقل الله أعلم بما لبثوا وذلك أن أهل نجران قالوا أما الثلاثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها وقيل أن معناه الله أعلم بما لبثوا إلى أن ماتوا وحكي عن قتادة أنه قال قوله ﴿ولبثوا في كهفهم﴾ الآية حكاية عن قول اليهود وقوي ذلك بقوله ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ فذكر أنه سبحانه العالم بمقدار لبثهم دون غيره وقد ضعف هذا الوجه بأن إخبار الله لا ينبغي صرفها إلى الحكاية إلا بدليل قاطع ولو كان الأمر على ما قاله لم تكن مدة لبثهم مذكورة ومن المعلوم أن الله سبحانه أراد بالآية الاستدلال على عجيب قدرته وباهر آيته وذلك لا يتم إلا بعد معرفة مدة لبثهم فالمراد بقوله ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ بعد بيان مدة لبثهم إبطال قول أهل الكتاب واختلافهم في مدة لبثهم فتقديره قل يا محمد الله أعلم بمدة لبثهم وقد أخبر بها فخذوا بما أخبر الله تعالى ودعوا قول أهل الكتاب فهو أعلم بذلك منهم ﴿له غيب السماوات والأرض﴾ والغيب أن يكون الشيء بحيث لا يقع عليه الإدراك أي لا يغيب عن الله سبحانه شيء لأنه لا يكون بحيث لا يدركه فيعلم ما غاب في السماوات والأرض عن إدراك العباد ﴿أبصر به وأسمع﴾ هذا لفظ التعجب ومعناه ما أبصره وأسمعه أي ما أبصر الله تعالى لكل مبصر وما أسمعه لكل مسموع فلا يخفى عليه من ذلك وإنما أخرجه مخرج التعجب على وجه التعظيم وروي أن يهوديا سأل علي بن أبي طالب (عليه

السلام) عن مدة لبثهم فأخبر بما في القرآن فقال أنا نجد في كتابنا ثلاثمائة فقال (عليه السلام) ذاك بسني الشمس وهذا بسني القمر وقوله ﴿ما لهم من دونه من ولي﴾ أي ليس لأهل السماوات والأرض من دون الله من ناصر يتولى نصرتهم ﴿ولا يشرك﴾ الله ﴿في حكمه أحدا﴾ فلا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم الله تعالى به وقيل معناه أنه لا يشرك الله في حكمه بما يخبر به من الغيب أحدا وعلى القراءة الأخرى معناه ولا تشرك أنت أيها الإنسان في حكمه أحدا ثم قال سبحانه لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك﴾ أي واقرأ عليهم ما أوحى الله إليك من أخبار أصحاب الكهف وغيرهم فإن الحق فيه وقيل معناه اتبع القرآن واعمل به ﴿لا مبدل لكلماته﴾ أي لا مغير لما أخبر الله به فيه وما أمر به وعلى هذا فيكون التقدير لا مبدل لحكم كلماته ﴿ولن تجد من دونه ملتحدا﴾ معناه إن لم تتبع القرآن فلن تجد من دون الله ملجأ عن مجاهد وقيل حرزا عن ابن عباس وقيل موئلا عن قتادة وقيل معدلا ومحيصا عن الزجاج وأبي مسلم والأقوال متقاربة في المعنى يقال لحد إلى كذا أو التحد إذا مال إليه.

-عدد القراءات: 620 - نشر في: 23--2007م

الآيات 28-29

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿28﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء

كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا ﴿29﴾

القراءة:

قرأ ابن عامر وحده ﴿بالغداوة﴾ والباقون ﴿بالغداة﴾ وفي الشواذ قراءة الحسن ولا تعد عينيك وقراءة عمرو بن فائد من أغفلنا قلبه.

الحجة:

قال أبو علي: أما غدوة فهو اسم موضوع للتعريف وإذا كان كذلك فلا ينبغي أن تدخل عليه الألف واللام كما لا تدخل على سائر الأعلام وإن كانت قد كتبت في المصحف بالواو ولم يدل على ذلك كما أنهم كتبوا الصلوة بالواو وهي ألف وحجة من أدخل اللام المعرفة عليها أنه قد يجوز وإن كانت معرفة أن تتنكر كما حكاه أبو زيد من أنهم يقولون لقيته فينة والفينة بعد الفينة ففينة مثل غدوة في التعريف بدلالة امتناع الانصراف وقد دخلت عليه لام التعريف وذلك أن يقدر من أمة كلها له مثل هذا الاسم فيدخل التنكير لذلك ويقوي هذا تثنية الإعلام وجمعها وقوله:

لا هيثم الليلة للمطي وقولهم أما النضرة فلا نضرة لك فأجري مجرى ما يكون شائعا في الجنس وكذلك الغدوة وأما قوله ولا تعد عينيك فإنه منقول من عدت عيناك إذا جاوزتا وهو من قولهم جاء القوم عدا زيدا أي جاوز بعضهم زيدا ثم نقل إلى أعديت عيني عن كذا أي صرفتها عنه قال الشاعر:

حتى لحقنا بهم تعدي فوارسنا

كأننا رعن قف يرفع الآلا

أي تعدي فوارسنا خيلهم عن كذا فحذف المفعول بعد المفعول أو تعديها من عدا الفرس أي جرى وعلى أن أصلهما واحد لأن الفرس إذا عدا فقد جاوز مكانا إلى غيره وأما من قرأ من أغفلنا قلبه فمعناه ولا تطع من ظننا غافلين عنه وهو من قولهم أغفلت الرجل أي وجدته غافلا قال الأعشى:

أثوى وقصر ليلة ليزودا

فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

أي صادفه مخلفا.

اللغة:

الفرط التجاوز للحق والخروج عنه من قولهم أفرط إفراطا إذا أسرف والسرادق الفسطاط المحيط بما فيه ويقال السرادق ثوب يدار حول الفسطاط قال رؤبة:

يا حكم بن المنذر بن الجارود

سرادق المجد عليك ممدود

والمهل خثارة الزيت وقيل هو النحاس الذائب والمرتفق المتكأ من المرفق يقال ارتفق إذا اتكأ على مرفقه قال أبو ذؤيب:

بات الخلي وبت الليل مرتفقا

كان عيني فيها الصاب مذبوح

ويقال إنه مأخوذ من الرفق والمنفعة.

النزول:

نزلت الآية الأولى في سلمان وأبي ذر وصهيب وعمار وحباب وغيرهم من فقراء أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك أن المؤلفة قلوبهم جاءوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم عيينة بن الحصين والأقرع بن حابس وذووهم فقالوا يا رسول الله إن جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء روائح صنانهم وكانت عليهم جبات الصوف جلسنا نحن إليك وأخذنا عنك فلا يمنعنا من الدخول عليك إلا هؤلاء فلما نزلت الآية قام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يلتمسهم فأصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله عز وجل فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات.

المعنى:

ثم أمر الله سبحانه نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصبر مع المؤمنين فقال ﴿واصبر نفسك﴾ يا محمد أي احبس نفسك ﴿مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ أي يداومون على الصلاة والدعاء عند الصباح والمساء لا شغل لهم غيره ويستفتحون يومهم بالدعاء ويختمونه بالدعاء ﴿يريدون وجهه﴾ أي رضوانه وقيل يريدون تعظيمه والقربة إليه دون الرياء والسمعة ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾ أي ولا تتجاوز عيناك عنهم بالنظر إلى غيرهم من

أبناء الدنيا ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ تريد في موضع الحال أي مريدا مجالسة أهل الشرف والغنى وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حريصا على إيمان العظماء من المشركين طمعا في إيمان أتباعهم ولم يمل إلى الدنيا وزينتها قط ولا إلى أهلها وإنما كان يلين في بعض الأحايين للرؤساء طمعا في إيمانهم فعوتب بهذه الآية وأمر بالإقبال على فقراء المؤمنين وأن لا يرفع بصره عنهم مريدا مجالسة الأشراف ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ قيل في معناه أقوال (أحدها) أن معناه ولا تطع من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا بتعريضه للغفلة ولهذا قال ﴿واتبع هواه﴾ ومثله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم (و ثانيها) أغفلنا قلبه أي نسبنا قلبه إلى الغفلة كما يقال أكفره إذا نسبه إلى الكفر وسماه كافرا كقول الكميت:

وطائفة قد أكفروني بحبكم

وطائفة قالوا مسيء ومذنب

(وثالثها) أغفلنا قلبه صادفناه غافلا عن ذكرنا كما قالت العرب سألناكم فما أقحمناكم وقاتلناكم فما أجبناكم (ورابعها) أغفلنا قلبه أي جعلناه غفلا لم نسمة بسمة قلوب المؤمنين ولم نعلم فيه علامة المؤمنين لتعرفه الملائكة بتلك السمة تقول العرب أغفل فلان ماشيته إذا لم يسمها بسمة تعرف (وخامسها) أن معناه ولا تطع من تركنا قلبه خذلناه وخلينا بينه وبين الشيطان بتركه أمرنا عن الحسن ﴿واتبع هواه﴾ أي لا تطع من اتبع هواه في شهواته وأفعاله ﴿وكان أمره فرطا﴾ أي سرفا وإفراطا عن مقاتل والجبائي وقيل تجاوزا للحد عن الأخفش وقيل ضياعا وهلاكا عن مجاهد والسدي قال الزجاج ومن قدم العجز في أمره أضاعه وأهلكه فيكون المعنى في هذا أنه ترك الإيمان والاستدلال

بآيات الله واتبع الهوى ثم قال سبحانه ﴿وقل﴾ يا محمد لهؤلاء الذين أمروك بتنحية الفقراء ﴿الحق من ربكم﴾ أي هذا الحق من ربكم يعني القرآن وقيل معناه الذي أتيتكم به الحق عن الزجاج من ربكم يعني لم آتكم به من قبل نفسي وإنما أتيتكم به من قبل الله وقيل معناه ظهرت الحجة ووضح الحق من ربكم وزالت الشبهة ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ هذا وعيد من الله سبحانه وإنذار ولذلك عقبه بقوله ﴿إنا أعتدنا﴾ وإنما جاز التهديد بلفظ الأمر لأن المهدد كالمأمور بإهانة نفسه ومعناه فليختر كل لنفسه ما شاء فإنهم لا ينفعون الله تعالى بإيمانهم ولا يضرونه بكفرهم وإنما يرجع النفع والضر إليهم ﴿إنا أعتدنا﴾ أي هيأنا وأعددنا ﴿للظالمين﴾ أي الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بعبادة غير الله تعالى ﴿نارا أحاط بهم سرادقها﴾ والسرادق حائط من نار يحيط بهم عن ابن عباس وقيل هو دخان النار ولهبها يصل إليهم قبل وصولهم إليها وهو الذي في قوله إلى ظل ذي ثلاث شعب عن قتادة وقيل أراد أن النار أحاطت بهم من جميع جوانبهم فشبه ذلك في السرادق عن أبي مسلم ﴿وإن يستغيثوا﴾ من شدة العطش وحر النار ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ وهو كل شيء أذيب كالرصاص والنحاس والصفر عن ابن مسعود وقيل كعكر الزيت إذا قرب إليه سقطت فروة رأسه روي ذلك مرفوعا وقيل كدردي الزيت عن ابن عباس وقيل هو القيح والدم عن مجاهد وقيل هو الذي انتهى حره عن سعيد بن جبير وقيل أنه ماء أسود وأن جهنم سوداء وماؤها أسود وشجرها أسود وأهلها سود عن الضحاك ﴿يشوي الوجوه﴾ أي ينضجها عند دنوه منها ويحرقها وإنما جعل سبحانه ذلك إغاثة لاقترانه بذكر الإغاثة ﴿بئس الشراب﴾ ذلك المهل ﴿وساءت﴾ النار ﴿مرتفقا﴾ أي متكئا لهم قيل ساءت مجتمعا مأخوذ من المرافقة وهي الاجتماع عن مجاهد وقيل منزلا ومستقرا عن ابن عباس

وعطاء.

-عدد القراءات: 737 - نشر في: 23--2007م

الآيات 30-31

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿30﴾ أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿31﴾

اللغة:

العدن الإقامة يقال عدن بالمكان يعدن عدنا والأساور جمع أسوار على حذف الزيادة لأن الأصل أساوير عن قطرب وأبي عبيدة وقيل جمع أسورة وأسورة جمع سوار عن الزجاج وهو سوار اليد بالكسر وقد حكي سوار بالضم والسندس ما رق من الديباج واحده سندسة والإستبرق الغليظ من الديباج وقيل هو الحرير قال المرقش:

تراهن يلبسن المشاعر مرة

واستبرق الديباج طورا لباسها

والأرائك جمع أريكة وهي السرير قال:

خدود جفت في السير حتى كأنما

يباشرن بالمعزاء مس الأرائك

قال الزجاج: الأرائك الفرش في الحجال قال الأعشى:

بين الرواق وجانب من سترها

منها وبين أريكة الأنضاد

الإعراب:

قيل في خبر ﴿إن الذين آمنوا﴾ أقوال (أحدها) أنه قوله ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ وعلى هذا فيكون في الخبر محذوفا كأنه لا نضيع أجر من أحسن عملا منهم (والثاني) أن يكون الخبر أولئك لهم جنات عدن ويكون ﴿إنا لا نضيع﴾ الخ اعتراضا بين الاسم والخبر (والثالث) أن المعنى إنا لا نضيع أجرهم لأن من أحسن عملا في المعنى هم الذين آمنوا.

المعنى:

لما تقدم الوعيد عقبه سبحانه بذكر الوعد فقال ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ من الطاعات ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾ أي لا نترك أعمالهم تذهب ضياعا بل نجازيهم ونوفيهم أجورهم من غير بخس ﴿أولئك لهم جنات عدن﴾ أي إقامة لهم لأنهم يبقون فيها ببقاء الله دائما أبدا وقيل عدن بطنان الجنة أي وسطها وهي جنة من الجنان عن ابن مسعود وعلى

هذا فإنما جمع لسعتها ولأن كل ناحية منها تصلح أن تكون جنة ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ لأنهم على غرف في الجنة كما قال وهم في الغرفات آمنون وقيل أن أنهار الجنة تجري في أخاديد من الأرض فلذلك قال ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ أي يجعل لهم فيها حلي من أساور وقيل أنه يحلى كل واحد بثلاثة أساور سوار من فضة وسوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وياقوت عن سعيد بن جبير ﴿ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق﴾ أي من الديباج الرقيق والغليظ وقيل إن الإستبرق فارسي معرب أصله إستبره قيل هو الديباج المنسوج بالذهب ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ أي متنعمين في تلك الجنات على السرر في الحجال وإنما قال متكئين لأن الاتكاء يفيد أنهم منعمون في الأمن والراحة فإن الإنسان لا يتكىء إلا في حال الأمن والسلامة ﴿نعم الثواب﴾ أي طاب ثوابهم وعظم عن ابن عباس ﴿وحسنت﴾ الأرائك ﴿مرتفقا﴾ أي موضع ارتفاق وقيل منزلا ومجلسا ومجتمعا.